الخطابات القرآنية الموجهة إلى النبي ﷺ والمراد بها أمته دراسة نظرية تطبيقية

إعداد الدكتور

عبد الله بن عواد الجهني

الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى

الخطابات القرآنية الموجهة إلى النبي والمراد بها أمته
" دراسة نظرية تطبيقية "

عبد الله عواد الجهني
كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القري – المملكة العربية السعودية .
البريد الألكتروني : dr.awadel-gahny@gmail.com

الملخص :

يهدف البحث إلى بيان خطابات القرآن الكريم الموجهة إلى النب (ﷺ) لأنه هو المواجه بالوحي وهو الأصل فيه والمبلغ للأمة ، ويوضح أن القرآن الكريم عام لكل من آمن به ، ودراسة أوجه القرآن الكريم قد سبق إليها علماء أجلاء خصصوا في كتب علوم القرآن بابا في وجوه خطابات القرآن والتمثيل عليها ، فجاء البحث ليكشف عن نوعية الخطابات القرآنية ويفرق ما بين ما هو موجه للنبي(ﷺ) وما هو موجه إليه والمراد به أمته للوصول إلى نتيجة علمية فيها الجدة والابتكار التي يحظي بها موضوع البحث .

الكلمات المفتاحية : الخطابات – القرآنية – أمة – صلاح – فساد – الدنيا – الآخرة .

The Discourses of the Qur'an Addressed to the Prophet (P) and Intended for his Nation, "A Theoretical and Applied Study"

Abd-Allah Awaad Algeheiny
Faculty of Call and Fundamentals of Religion, Om-Elqura University Saudi Arabia Kingdom,
E-mail: dr.awadel-gahny@gmail.com

Abstract:
The research aims to display the discourses of the Noble Qur'an addressed to the Prophet Mohammed (P) as He is the receiver of the Revelation. Also He is the origin and the reporter of the Revelation for his nation. The research also indicates that the Noble Qur'an is broad for all who believe in It. The study of the aspects of the Noble Qur'an has been preceded by distinguished scholars who have devoted in the books of Qur'an sciences a chapter on the facets of the discourses of Qur'an and representation on them. Therefore, the research comes to reveal the quality of the Qur'an discourses and discriminate between what was addressed to the Prophet and what was addressed to Him and at the same time intended for his nation. Hence, recognizing a scientific result which includes the novelty and innovation the subject of the research enjoys.

Key words

Discourses, Qur'an, Nation, Godliness, Corruption, The World, The Hereafter

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، اصطفى محمدا ليكون آخر أنبيائه ورسله، وأنزل عليه أحسن كتبه نظاماً وأفصحها كلاماً، فيه الهدى والنور، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير.

وقد وجه سبحانه تعالى خطاباته في القرآن الكريم إلى النبي ﷺ لكونه هو المواجه بالوحي، وهو الأصل فيه، والمبلغ للأمة، والسفير بينهم وبينه تعالى.

إلا أن القرآن الكريم عام لكل من آمن به، بل لكل من يأتي بعد نزوله، لتنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين.

ودراسة أوجه خطابات القرآن الكريم قد سبق فيه علماؤنا الأجلاء بقدم سبق، فخصصوا في كتب علوم القرآن باباً في وجوه خطابات القرآن والتمثيل عليها، كما كتب المؤلفون في أصول الفقه مسائل في الخطابات من حيث تعميمها أو تخصيصها.

إلا أن هذه الدراسات لم تتجاوز كونها دراسات نظرية في ذكر نوع الخطاب والتمثيل عليه (في كتب علوم القرآن) أو ذكر المسألة واختلاف المذاهب فيه (في كتب أصول الفقه).

ولم أطلع – خلال البحث والتنقيح – على من كتب في هذه الخطابات دراسة علمية موضوعية تطبيقية على جميع القرآن الكريم، مع أهمية ذلك.

وخلال قراءتي في تفسير بعض آي القرآن كانت تمر علي آيات كثيرة من الخطابات الموجهة للنبي ﷺ يحملها بعض المفسرين على أنها خطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته، فجمعتها وألفيتها صالحة للدراسة، فعقدت العزم على دراستها، لعلّ الله ينفني بها وينفع بها النفع العميم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

إن جمع الآيات التي تشتمل على خطابات موجهة إلى النبي ﷺ ودراستها ومناقشة أقوال المفسرين فيها والتوصل إلى نتيجة علمية، فيها أهمية كبرى لما يلي:

أن المقصود الكبير من القرآن الكريم هو خطاباته الموجهة إلى العالمين بأمرهم بما فيه صلاح دنياهم وأخراهم أو نهيهم عما فيه فساد لهم في الدنيا والآخرة.

الجدة والابتكار التي يحظى بها الموضوع؛ إذ لم أجد من كتب فيه لا بحثا مطولا أو قصيراً.

صلة الموضوع بالعديد من العلوم كالتفسير، وعلوم القرآن، وأصول الفقه، والبلاغة.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وفصلين، وخاتمة.

المقدمة: ويشمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

الفصل الأول: وفيه دراسة تأصيلية عن خطابات القرآن الموجهة إلى النبي ص.

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: حكم الخطاب الخاص بالنبي ﷺ، وهل يشمل الأمة؟

المبحث الثاني: أنواع الخطابات الموجهة إلى النبي ﷺ.

المبحث الثالث: الخطابات القرآنية الموجهة إلى النبي ﷺ والمراد به أمته.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: أقوال العلماء في ذلك، والترجيح.

المطلب الثاني: أهداف وأغراض توجيه الخطاب إلى النبي ﷺ مع أن المراد به أمته.

المطلب الثالث: دواعي صرف الخطاب عن النبي ﷺ إلى أمته.

المطلب الرابع: الأدلة والقرائن على صرف الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم

الفصل الثاني: دراسة الخطابات التي قيل إنها موجهة إلى النبي ﷺ والمراد به أمته.

الخاتمة: وتحتوي على:

أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث.

أهم الاقتراحات والتوصيات.

الفهارس العلمية وهي:

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات والمحتويات.

الفصل الأول

دراسة تأصيلية عن خطابات القرآن الموجهة إلى النبي ﷺ

المبحث الأول

حكم الخطاب الخاص بالنبي ﷺ، ومذاهب العلماء فيه

يقصد به جميع الخطابات التي توجه بصيغة المخاطب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بنداء، أو بغير نداء.

ولم أر خلافا في هذا بين العلماء إذ يعتبرون كل تلك الخطابات موجهة إلى النبي ﷺ، إلا ما ذهب إليه الزركشي رحمه الله؛ حيث جعل بعض الخطابات من باب الخطاب العام من غير قصد شخص معين(١).

والصحيح أنّ الخطاب موجه إلى النبي ﷺ ويدخل معه أمته إلا ما قيدّ منها كما سيأتي.

إذا ورد الخطاب خطاب خاص بالنبي - ﷺ -، كقوله: {يا أيها النبي} [الأنفال: ٦٤] (يا أيها المزمل قم الليل) (٧٣) المزمل: ١) * (يا أيها المدثر قم فأنذر) * (٧٤) المدثر: ١) * (يا أيها النبي اتق الله) * (٣٣) الأحزاب: (١) * (لئن أشركت ليحبطن عملك) * (٣٩) الزمر: ٦٥)

فهل تدخل الأمة تحته ويعمها ذلك أم لا؟ اختلف فيه العلماء على قولين:

١- ذهبت أكثر الشافعية إلى أن الخطاب المختص بالنبي - عليه السلام - بوضع اللسان، مثل يا أيها النبي، ويا أيها الرسول، لا يدخل تحته الأمة إلا بدليل منفصل من قياس وغيره، وحينئذ فيشملهم الحكم لا باللفظ(٢).

٢- ومذهب الأئمة الثلاثة: أنه يكون خطابا للأمة، إلا ما دل الدليل فيه

---

(١) ذكره في البحر المحيط في أصول الفقه (٤/ ٢٥٦) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٤٣) بعد ما أورد جملة من الآيات.

(٢) ينظر: المستصفى (ص: ٢٤١)، الإحكام في أصول الأحكام الآمدي (٢/٢٦٠)، البحر المحيط في أصول الفقه (٤/ ٢٥٤)، اللمع في أصول الفقه للشيرازي (ص: ٢٢).

على الفرق[١]، واختاره – من الشافعية - إمام الحرمين، وابن السمعاني.

قال الشنقيطي:.

وقد تقرر في الأصول أن الخطاب الخاص به ﷺ يعم حكمه جميع الأمة إلا بدليل على الخصوص كما عقده في مراقي السعود بقوله :

وما به قد خوطب النَّبي ... تعميمه في المذهب السني

وهو مذهب الأئمة الثلاثة ، خلافاً للشافعي القائل بخصوصه به ﷺ إلا بدليل على العموم.

أدلة الجمهور[٢]:

استدل الجمهور بأدلة كثيرة منها ما يلي:

١- النصوص الكثيرة الدالة على شمول حكمه للأمة ، كما في قوله تعالى : { لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } [الأحزاب : ٢١] ، الآية إلى غيرها مما تقدم من الآيات.

٢- ما علم من استقراء القرآن العظيم؛ حيث يعبر فيه دائماً بالصيغة الخاصة به ﷺ ، ثم يشير إلى أن المراد عموم حكم الخطاب للأمة ، كقوله في أول سورة الطلاق : { إِذَا طَلَّقْتُمُ النسآء } [الطلاق : ١] الآية ، فدل على دخول الكل حكماً تحت قوله : { ياأيها النبي } [الطلاق : ١] ، ثم قال : { إِذَا طَلَّقْتُمُ النسآء } [الطلاق : ١] الآية ، فدل على دخول الكل حكماً تحت قوله : { ياأيها النبي } ، وقال في سورة التحريم : { ياأيها النبي لِمَ تُحَرِّمُ } [التحريم :١]، ثم قال:{قَدْ فَرَضَ الله لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ } [التحريم: ٢] ، فدل على عموم حكم الخطاب بقوله : { ياأيها النبي } ، ونظير ذلك أيضاً في سورة الأحزاب في قوله تعالى : { يا أَيُّهَا النبي اتق الله } [الأحزاب : ١] ، ثم قال : { إِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً } [الأحزاب : ٢

(١) ينظر: مراقي السعود ()، المختصر في أصول الفقه البعلي (١١٤/١)، أضواء البيان (١٧٧/١).

(٢) ينظر: أضواء البيان (٤٠٧/١)، مذكرة أصول الفقه (ص: ١٩٦)، دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب (ص: ١٨٠).

] ، فقوله { بما تعملون } يدل على عموم الخطاب بقوله : { ياأيها النبي } ، وكقوله { وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ } [يونس : ٦١]، ثم قال: { وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا } [يونس : ٦١]، الآية.

ومن أصرح الأدلة في ذلك آية الروم ، قوله تعالى : { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً } [الروم: ٣٠]، ثم قال : { مُنِيبِينَ إِلَيْهِ } [الروم : ٣١]، فهو حال الضمير المستتر في ((فأقم)) وهو خاص به ﷺ ، وتقديره ((فأقم وجهك للدين يا نبي الله في حال كونكم منيبين)) فلو لم يشمل الأمة حكماً لقال ((منيبا)) بالإفراد لإجماع أهل اللسان العربي على أن الحال الحقيقية أعني التي لم تكن سببية لا بد من مطابقتها لصاحبها إفراداً وتثنية وجمعاً وتذكيراً وتأنيثاً ، فلا يجوز جاء زيد ضاحكين اجماعاً ، ودعوى أن العامل في الحال ألزموا مقدراً وصاحبها الواو في ألزموا ، أي ألزموا فطرة الله في حال كونكم منيبين تقدير لا دليل عليه ولا حاجة إليه.

٣- أنه قد ورد الخطاب بتخصيصه، عليه السلام، بأحكام دون أمته، كقوله : { خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ المؤمنين } [الأحزاب : ٥٠].

لأنّ الخطاب الخاص به ﷺ في قوله : { وامرأة مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ } [الأحزاب : ٥٠] ، الآية ، لو كان حكمه خاصاً به ﷺ لأغنى ذلك عن قوله : { خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ المؤمنين قَدْ } [الأحزاب : ٥٠] كما هو ظاهر .

وكقوله تعالى: * (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) * (١٧) الاسراء: ٧٩) ولو لم يكن الخطاب المطلق له خطابا لامته، بل خاصا به، لما احتيج إلى بيان التخصيص به هاهنا.

٥- أنَّ العلماء استدلوا بآيات كثيرة وردت خاصا بالنبي فعمموها:

فقد ردت عائشة رضي الله عنها على من زعم أن تخيير الزوجة طلاق ، بأن رسول الله ﷺ خير نساءه فاخترنه ، فلم يعده طلاقاً مع أن الخطاب في ذلك خاص به ﷺ ، في قوله تعالى : { ياأيها النبي قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ } [الأحزاب: ٢٨]، الآيتين .

وأخذ مالك رحمه الله بينونة الزوجة بالردة من قوله : { لَئِنْ أَشْرَكْتَ

لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ } [الزمر : ٦٥] ، وهو خطاب خاص به ﷺ .

٤- أن أمر القدوة أمر لأتباعه معه عرفاً.

فمن كان مقدما على قوم، وقد عقدت له الولاية والامارة عليهم، وجعل له منصب الاقتداء به، فإنه إذا قيل له اركب لمناجزة العدو، وشن الغارة عليه وعلى بلاده فإن أهل اللغة يعدون ذلك أمرا لأتباعه وأصحابه.

وكذلك إذا أخبر عنه بأنه قد فتح البلد الفلاني، وكسر العدو، فإنه يكون إخبارا عن أتباعه أيضا.

والنبي، ﷺ ممن قد ثبت كونه قدوة للأمة ومتبعا لهم، فأمره ونهيه يكون أمرا ونهيا لأمته، إلا ما دل الدليل فيه على الفرق.

فقوله تعالى في قصة زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها: {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا} [٣٧/٣٣]، فإن هذا الخطاب خاص بالنبي ﷺ، ثم صرح تعالى بشمول حكمته لجميع المؤمنين في قوله: {لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ}،

فلو كان حكم الخطاب به يختص به لم يصح التعليل في الآية.

أدلة الشافعية في ذلك(١):

احتجت الشافعية على مذهبه بما يلي:

١- أنّ الخطاب الوارد نحو الواحد موضوع في أصل اللغة لذلك الواحد فلا يكون متناولا لغيره بوضعه، ولهذا فإن السيد إذا أمر بعض عبيده بخطاب يخصه لا يكون أمرا للباقين.

كيف وإنه من المحتمل أن يكون الأمر للواحد المعين مصلحة له، وهو مفسدة في حق غيره، وذلك كما في أمر الطبيب لبعض الناس بشرب بعض الأدوية، فإنه لا يكون ذلك أمرا لغيره لاحتمال التفاوت بين الناس في الامزجة الأحوال المقتضية لذلك الأمر.

(١) ينظر: هذا وما بعده في الإحكام في أصول الأحكام الآمدي (٢٦٠/٢).

قالوا: ولهذا خص النبي ص بأحكام لم يشاركه فيها أحد من أمته، من الواجبات والمندوبات، والمحظورات والمباحات، ومع امتناع اتحاد الخطاب، وجواز الاختلاف في الحكمة والمقصود يمتنع التشريك في الحكم.

وأجابوا على أدلة الجمهور: بقولهم: لا نسلم أن أمر المقدم يكون أمرا لاتباعه لغة، ولهذا فإنه يصح أن يقال: أمر المقدم، ولم يأمر الاتباع، وأنه لو حلف أنه لم يأمر الاتباع لم يحنث بالإجماع.

ولو كان أمره للمقدم أمرا لاتباعه لحنث، نعم غايته أنه يفهم عند أمر المقدم بالركوب وشن الغار لزوم توقف مقصود الأمر على اتباع أصحابه له، فكان ذلك من باب الاستلزام، لا من باب دلالة اللفظ مطابقة ولا ضمنا، ولا يلزم مثله في خطاب النبي ص، بشيء من العبادات، أو بتحريم شيء من الافعال، أو إباحتها، من حيث إنه لا يتوقف المقصود من ذلك على مشاركة الامة له في ذلك.

وقوله تعالى: * (إذا طلقتم النساء) * (٦٥) الطلاق: ١) فخطاب عام مع الكل على وجه يدخل فيه النبي ص ، وغيره من الامة، وتخصيص النبي في أول الآية بالنداء جرى مجرى التشريف والتكريم له.

كيف وإن في الآية ما يدل على أن خطاب النبي لا يكون خطابا للامة، فإنه لو كان كذلك، لما احتيج إلى قوله * (طلقتم النساء فطلقوهن) * (٦٥) الطلاق: ١) لان قوله * (إذا طلقت النساء فطلقهن) * كاف في خطاب الامة مع اتساقه مع أول الآية.

وقوله تعالى * (فلما قضى زيد منها وطرا) * (٣٣) الاحزاب: ٣٧) لا حجة فيه على المقصود.

وقوله: * (لكي لا يكون على المؤمنين حرج) * (٣٣) الاحزاب: ٣٧) ليس فيه ما يدل على أن نفي الحرج عن المؤمنين في أزواج أدعيائهم مدلول لقوله زوجناكها

بل غايته أن رفع الحرج عن النبي ص، كان لمقصود رفع الحرج عن المؤمنين وذلك حاصل بقياسهم عليه بواسطة دفع الحاجة وحصول المصلحة، وعموم الخطاب غير متعين لذلك.

وتخصيصه لخزيمة بقبول شهادته وحده وتخصيصه لعبد الرحمن بن عوف بلبس الحرير.

ولولا أن الحكم بإطلاقه على الواحد حكم على الامة، لما احتاج إلى التنصيص بالتخصيص.

قال السيوطي: (والأصح في الأصول المنع لاختصاص الصيغة به)[1].

عند وجود القرينة[2]:

أما فيما لم يظهر أن الأمة مقصودة به، فإن قامت قرينة لفظية على دخولهم فلا خلاف في عمومه، وتكون القرينة مبينة أنه عبر بلفظه عنه، وعن غيره مجازا، هذا كما في قوله تعالى: {يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن} [الطلاق: ١] الآية فإن ضمير الجمع في قوله: طلقتم، وطلقوهن، قرينة لفظية تدل على أن الأمة مقصودة معه بالحكم، وأنه خص بالخطاب لكونه متبوعهم، ولولا فهم عمومها للأمة لما افتتح بها.

واعلم أن مثل هذا الخطاب نوعان: نوع مختص لفظه بالنبي - ﷺ -، ولكن يتناول غيره بطريق الأولى، كقوله: {يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك} [التحريم: ١] ثم قال: {قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم} [التحريم: ٢] ، وقوله: {يا أيها النبي إذا طلقتم النساء} [الطلاق: ١] .

(١) ينظر: اختيارات السيوطي الإتقان في علوم القرآن (٤٧/٢)
(٢) البحر المحيط في أصول الفقه (٤/ ٢٥٧)

المبحث الثاني

أنواع الخطابات الموجهة إلى النبي ﷺ

يمكن تقسيم الخطابات إلى ثلاث:

١- خطاب النبي والمراد به أمته:

ذهب كثير من المفسرين إلى صحة وقوع ذلك في القرآن الكريم وحملوا عليه آيات كثيرة(١)، كما سيأتي في الفصل الثاني.

١- قال الزركشي: أما ما قامت قرينة على أن المقصود بالحكم غيره، وأتى بلفظه لجلالة وقوع المشافهة معه، كما في قوله تعالى: {لئن أشركت ليحبطن عملك} [الزمر: ٦٥] فهذا لا مدخل له فيه - ﷺ - بلا خلاف ،... وكيف يحتج بمخاطبة الأنبياء بذلك وهم معصومون، بل ذلك على سبيل الفرض، والمحال يصح فرضه لغرض.

والتحقيق أن هذا ونحوه من باب الخطاب العام من غير قصد شخص معين. والمعنى اتفاق جميع الشرائع على ذلك، ويستراح حينئذ من إيراد هذا السؤال من أصله.

٢- الخطاب المفرد والمراد به النبي وأمته:

قال الزركشي(٢):

ونوع يكون الخطاب له وللأمة، وأفرده بالخطاب، لكونه هو المواجه بالوحي، وهو الأصل فيه، والمبلغ للأمة، والسفير بينهم وبين الله، وهذا معنى قول المفسرين: الخطاب له، والمراد غيره، ولم يريدوا بذلك أنه لم يخاطب بذلك أصلا، كما يقول السلطان لمقدم العساكر: اخرج غدا، أو انزل بمكان كذا، واحمل على العدو في وقت كذا، ومنه قوله تعالى: {ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك} [النساء: ٧٩] ، بخلاف

(١) البحر المحيط في أصول الفقه (٤/ ٢٥٥ - ٢٥٦) .
(٢) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (ج ٣ / ١٤٥)

قوله: {وأرسلناك للناس رسولا} [النساء: ٧٩] .

وخصوص الخطاب قد يكون صورة لا معنى ، فإن الخطاب في قوله تعالى: { أَلَمْ تَعْلم } وإغغغن كان خاصا بحسب الصيغة لكنه عام معنى ، فإن المخاطب به كلّ واحد ممن يقدر عللا الاستدلال من المصنوع على الصانع .

٣- الخطاب المفرد والمراد به النبي ﷺ وحده، دون أمته.

بناء على ما تقدّم من ترجيح مذهب الجمهور فإن هذا لا يتحقق إلا بالقرينة أو القيد.

مثل قوله: {خالصة لك من دون المؤمنين}، الأحزاب ٥٠.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ البقرة: ١٠٧

ذهب كثير من المفسرين إلى أنّ الخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ، لكن يراد به أمته.

القائلون بذلك من المفسرين:

الطبري حيث يقول:« ولكن ذلك عندي وإن كان ظهر ظهور الخطاب للنبي ﷺ، فإنما هو معنيٌّ به أصحابه الذين قال لهم الله جل ثناؤه : {لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا} . والذي يدل على أن ذلك كذلك قوله جل ثناؤه: {وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير} فعاد بالخطاب في آخر الآية إلى جميعهم، وقد ابتدأ أولها بخطاب النبي ﷺ بقوله : {ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض} »[(١)].

ونص عليه أيضا: القرطبي، وابن عادل.[(٢)]

أهداف وأغراض توجيه الخطاب إلى النبي ﷺ مع أن المراد به أمته.

(١) تفسير الطبري (٢ / ٤٠٤).
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢ / ٦٩)، اللباب في علوم الكتاب (٢ / ٣٨٤).

دواعي صرف الخطاب عن النبي ﷺ إلى أمته.

لأن الآية تدلّ بظاهرها على أنه عليه السلام غير عالم بأن الله على كل شيء قدير ، وأن الله له ملك السموات والأرض.

الأدلة والقرائن على صرف الخطاب عن النبي ﷺ:

قوله جل ثناؤه: {وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير} فعاد بالخطاب في آخر الآية إلى جميعهم – كما أشار إليه الطبري، والقرطبي-.

الأقوال الأخرى في الآية(١):

أورد المفسرون أقوالا أخرى لتوجيه هذه الآية:

أحدهما: أن قوله ألم تعلم بمعنى أعلمت .

والثاني: أنه خارج مخرج التقرير، لا مخرج الاستفهام . كما قال الله تعالى : {وَإِذْ قَالَ : اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَم أَنتَ قُلْتَ لِلْنَّاسِ : اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ } [المائدة : ١١٦] خرج مخرج التقرير لا مخرج الاستفهام .

نقل الطبري هذا التوجيه بقوله: فقد كان بعضهم يقول : إنما ذلك من الله جل ثناؤه خبر عن أن محمدا ﷺ قد علم ذلك ؛ ولكنه أخرج الكلام مخرج التقرير كما تفعل مثله العرب في خطاب بعضها بعضا ، فيقول أحدهما لصاحبه : ألم أكرمك ؟ ألم أفضل عليك ؟ بمعنى إخباره أنه قد أكرمه وأفضل عليه، يريد أليس قد أكرمتك ؟ أليس قد أفضلت عليك ؟ بمعنى قد علمت ذلك.

ثم ردّه وقال: « وهذا قول لا وجه له عندنا ؛ وذلك أن قوله جل ثناؤه {ألم تعلم} إنما معناه : أما علمت . وهو حرف جحد أدخل عليه حرف استفهام ، وحروف الاستفهام إنما تدخل في الكلام إما بمعنى الاستثبات ، وإما بمعنى النفي . فأما بمعنى الإثبات فذلك غير معروف في كلام العرب،

(١) ينظر: تفسير الطبري (٤٠٤/٢)، النكت والعيون (١٧٢/١)، تفسير العز بن عبد السلام (٥٧/١)، التفسير المنير (٢٥٩/١).

ولا سيما إذا دخلت على حروف الجحد ».

قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١٢٠ ﴾ البقرة: ١٢٠

وقوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥ ﴾ البقرة ١٤٥

ذهب كثير من المفسرين إلى أنّ الخطاب في هاتين الآيتين للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد به أمته.

القائلون بذلك من المفسرين:

حكاه الرازي عن ابن عباس [(١)].

وقال ابن عطية: « وقوله تعالى " ولئن اتبعت " الآية خطاب للنبي ﷺ والمراد أمته وما ورد من هذا النوع الذي يوهم من النبي صلى الله عليه وسلم ظلما متوقعا فهو محمول على إرادة أمته لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم وقطعنا أن ذلك لا يكون منه فإنما المراد من يمكن أن يقع ذلك منه وخوطب النبي ﷺ تعظيما للأمر »[(٢)].

وقال القرطبي في تفسير الآية الثانية: « قوله تعالى : {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ} الخطاب للنبي ﷺ ، والمراد أمته ممن يجوز أن يتبع هواه فيصير باتباعه ظالما ، وليس يجوز أن يفعل النبي ﷺ ما يكون به ظالما ، فهو محمول على إرادة أمته لعصمة النبي ﷺ وقطعنا أن ذلك لا يكون منه ، وخوطب النبي ﷺ تعظيما للأمر ولأنه المنزل عليه »[(٣)].

---

(١) ينظر: التفسير الكبير (٤٩/١٩).
(٢) المحرر الوجيز (٢٠٩/١).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦٢/٢).

وقال الثعالبي: « والأدب أن يقال خوطب به ص والمراد أمته لوجود عصمته ص، وكذلك الجواب في سائر ما أشبه هذا المعنى من الآي »[١].

وذكر هذا وقطع به غير واحد من المفسرين[٢]، وحكاه جمع منهم كقول في الآية دون الاقتصار عليه[٣].

غرض توجيه الخطاب إلى النبي ﷺ مع أن المراد به أمته.

تعظيما للأمر – كما سبق في كلام ابن عطية، ولأنه المنزل عليه القرآن – كما أضافه القرطبي وغيره[٤].

دواعي صرف الخطاب عن النبي ﷺ إلى أمته:

الأدلة والقرائن على صرف الخطاب عن النبي ﷺ:

عصمة النبي ﷺ.

الأقوال الأخرى:

أورد جمع من المفسرين قولا آخر في تفسير الآية، وهو: أنّ الخطاب للرسول .

ووجهوا الآية بأنّ الغرض منه حث الرسول عليه السلام على القيام بحق الرسالة وتحذيره من خلافها ويتضمن ذلك أيضاً تحذير جميع المكلفين لأن من هو أرفع منزلة إذا حذر هذا التحذير فهم أحق بذلك وأولى[٥].

وقال القرطبي: وفيه تأديب لأمته، إذ منزلتهم دون منزلته، وسبب الآية أنهم كانوا يسألون المسالمة والهدية، ويعدون النبي ﷺ بالإسلام، فأعلمه الله

(١) تفسير الثعالبي (١٠٣/١).
(٢) ينظر: تفسير الخازن (١٠٢/١)، تفسير الثعالبي (١١٧/١)، التفسير المنير (٢٧/٢).
(٣) كالزحيلي في التفسير المنير (٢ / ٢٧).
(٤) ينظر: التفسير الكبير (٤٩/١٩)، الجامع لأحكام القرآن (٩٤/٢)، البحر المحيط (٥٣٨/١) تفسير النسفي (٩٤/١).
(٥) التفسير الكبير (٤٩/١٩).

أنهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم، وأمره بجهادهم[١].

الثاني: أنّ ذلك تبيين لحكم ذلك لو وقع، وإن كان غير واقع[٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ البقرة: ١٦٥.

ذكر جمع من المفسرين أن الخطاب في هذه الآية للنبي ص والمراد به أمته. قال ابن عطية: « وقد كان النبي ﷺ علم ذلك ولكن خوطب والمراد أمته فإن فيهم من يحتاج إلى تقوية علمه بمشاهدة مثل هذا »[٣].

وذكر مثله: القرطبي، وأبو حيان، والثعالبي، والشوكاني، والزحيلي[٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ البقرة: ١٤٧ الأنعام: ١١٤، يونس: ٩٤

﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ آل عمران: ٦٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ ﴾ السجدة: ٢٣

فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَاؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ ءَابَاؤهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ).

هذه الآيات واردة في مخاطبة النبي ﷺ عن الامتراء والشك في دين الله وفي آيات القرآن وقصصه.

وقد حملها جمع من المفسرين بأنها خطابات للنبي ﷺ والمراد به أمته.

قال الثعلبي: « فلا تكن من الممترين (الخطاب للنبي ﷺ، والمراد أُمّته

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٩٤/٢).
(٢) ينظر: النكت والعيون (٢٠٤/١)، تفسير العز بن عبد السلام (٧١/١).
(٣) المحرر الوجيز (١ / ٢٢١).
(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠٥/٢)، البحر المحيط (٦٤٥/١)، تفسير الثعالبي (١٢٧/١)، فتح القدير (٢٥٥/١)، التفسير المنير (٦٩/٢).

لأنّه لم يكن ينهاه في أمر عيسى »[١].

وقال النحاس: « وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكن من الممترين، الممترون الشاكون فان قيل كيف خوطب النبي بهذا؟ فعلى هذا جوابان:

أحدهما: أنّ المعنى يا محمد قل للشاك هذا الحق من ربك فلا تكن من الممترين.

والقول الآخر: إن الخطاب للنبي خطاب لجميع الناس فالمعنى على هذا فلا تكونوا من الممترين ويقوي هذا قوله عز و جل يا ايها النبي اذا طلقتم النساء »[٢].

وقال الخازن: « والمعنى فلا تكن من الممترين يا أيها السامع كائناً من كان لهذا التمثيل والبرهان الذي ذكر فهو من باب التهيج لزيادة الثبات والطمأنينة »[٣].

التحرير والتنوير (١٦٧/١٢)

والخطاب في نحو: { فلا تك في مرية } يقصد به أيُّ سامع لا سامعٌ معيّن سواء كان ممّن يظنّ به أن يشكّ في ذلك أم لا إذ ليس المقصود معيّناً. ويجوز أن يكون الخطاب قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ ﴾ آل عمران: ١٩٦

للنبي ﷺ، ويكون {فلا تك } مقصوداً به مجرّد تحقيق الخبر فإنّه جرى مجرى المثل في ذلك في كلام العرب مثل كلمة: لا شكّ، ولا محالة، ولا أعرفنّك، ونحوها.

ويجوز أن يكون تثبيتاً للنبي ﷺ على ما يلقاه من قومه من التصلّب في الشرك، أي لا تكن شاكّاً في أنّك لقيت من قومك من التكذيب مثل ما لقيه الرّسل من أممهم فإنّ هؤلاء ما يعبدون إلاّ عبادة كما يعبد آباؤهم من قبل متوارثينها عن أسلافهم من الأمم البائدة.

---

(١) الكشف والبيان (٨٤/٣).
(٢) معاني القرآن للنحاس (٤١٣/١- ٤١٤).
(٣) تفسير الخازن (٣٥٩/١).

وذكر مثل ذلك: البغوي، وابن عطية، والقرطبي، وغيرهم[١].

دواعي صرف الخطاب عن النبي ﷺ إلى أمته:

لأن النبي ﷺ لم يكن شاكا في ذلك.

الأدلة والقرائن على صرف الخطاب عن النبي ﷺ:

عصمة النبي ﷺ من أن يشك في شيء من دين الله.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ آل عمران: ١٩٦

ذهب جمع من المفسرين إلى أنّ النهي عن الاغترار بتقلب الكافرين موجَّهٌ إلى النبي ﷺ والمراد به أمته.

قال الزمخشري: « فإن قلت: كيف جاز أن يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى ينهى عنه وعن الاغترار به ؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعاً ، فكأنه قيل : لا يغرنكم »[٢].

وقال ابن عطية: « والخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته وللكفار في ذلك حظ أي لا يغرنكم تقلبهم »[٣].

وحكاه غير واحد من المفسرين قولا واحداً، وذكره بعضهم دون الاقتصار عليه[٤].

دواعي صرف الخطاب عن النبي ﷺ إلى أمته:

لأن النبي ﷺ لم يكن مغترا بتقلب الكفار.

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٤٨/٢)، المحرر الوجيز (٢١٠/١)، الجامع لأحكام القرآن (١٦٣/٢) (١٠٣/٤)، التحرير والتنوير (٢١ / ٢٣٨)، تفسير المنار (١٧/٢).

(٢) الكشاف (٤٨٦/١).

(٣) المحرر الوجيز (٥٩٦/١).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣١٩/٤)، تفسير البيضاوي (١٣٥/١)، البحر المحيط (١٥٣/٣)، تفسير الثعالبي (٣٤٣/١)، روح البيان (١٢٣/٢)، تفسير المراغي (١٦٩/٤).

الأدلة والقرائن على صرف الخطاب عن النبي ﷺ:

عصمة النبي ﷺ من الاغترار بذلك.

القول الثاني:

أنّ هذا على جهة التأكيد والتنبيه ، وإن كان معصوماً من الوقوع فيه.

وهذا هو الجواب الثاني للزمخشري: قال: « والثاني: أن رسول الله ﷺ كان غير مغرور بحالهم، فأكد عليه ما كان وثبت على التزامه كقوله: {وَلاَ تَكُنْ مّنَ الْكَافِرِينَ}{وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكَينَ } {فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذّبِينَ}»[(١)].

وفيه جواب آخر ذكره إسماعيل حقي؛ فقال: « {لا يَغُرَّنَّكَ} الخطاب للنبي عليه السلام لأن العصمة لا تزيل النهي فإنه لو زال النهي عنه بذلك لبطلت العصمة فإن العصمة هي الحفظ من الخلاف وإذا زال النهي لم يكن خلاف فلا تكون عصمة فالمراد تثبيته على ما هو عليه من عدم التفاته إلى الدنيا [(٢)].

قوله تعالى:﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩ ﴾ النساء: ٧

قال القرطبي: « أي: ما أصابك يا محمد من خصب ورخاء وصحة وسلامة فبفضل الله عليك وإحسانه إليك ، وما أصابك من جدب وشدة فبذنب أتيته عوقبت عليه. والخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته. أي ما أصابكم يا معشر الناس من خصب واتساع رزق فمن تفضل الله عليكم ، وما أصابكم من جدب وضيق رزق فمن أنفسكم ؛ أي من أجل ذنوبكم وقع ذلك بكم. قال الحسن والسدي وغيرهما ؛ كما قال تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ}»[(٣)].

الأقوال الأخرى:

---

(١) الكشاف (٤٨٦/١).

(٢) تفسير روح البيان (١٢٣/٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٨٥/٥).

وقد قيل: الخطاب للإنسان والمراد به الجنس؛ كما قال تعالى : {وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} أي إن الناس لفي خسر، ألا تراه استثنى منهم فقال {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا} ولا يستثنى إلا من جملة أو جماعة. وعلى هذا التأويل يكون قوله {مَا أَصَابَكَ} استئنافا.

وقيل : في الكلام حذف تقديره يقولون ؛ وعليه يكون الكلام متصلا ؛ والمعنى فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا حتى يقولوا ما أصابك من حسنة فمن الله.

وقيل : إن ألف الاستفهام مضمرة ؛ والمعنى أفمن نفسك ؟ ومثله قوله تعالى : {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ} والمعنى أو تلك نعمة ؟ وكذا قوله تعالى : {فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي} أي أهذا ربي ؟[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ المائدة: ١٠٠

قال ابن العربي: قوله تعالى: { ولو أعجبك كثرة الخبيث } : وفي معناه قولان:

أحدهما: أن الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته ؛ فإن النبي ﷺ لا يعجبه الكفار ولا الحرام ، وإنما يعجب ذلك الناس »[2].

وذكر مثله: القرطبي والآلوسي والزحيلي[3]

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ التوبة: ٨٥

قال ابن عطية في تفسيره: « وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾ الآية تقدم تفسير مثل هذه الآية والخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٨٥/٥).
(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٣١٦/٣).
(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٢٩/٦-٣٣٠)، روح المعاني (٧ /٣٧)، التفسير المنير (٧٨/٧).

إذ هو بإجماع ممن لا تفتنه زخارف الدنيا .

ويحتمل أن يكون معنى الآية ولا تعجبك أيها الإنسان والمراد الجنس»[١].

الأقوال الأخرى:

الثاني : أن المراد به النبي ﷺ وإعجابه له أنه صار عنده عجبا مما يشاهده من كثرة الكفار والمال الحرام ، وقلة المؤمنين والمال الحلال، وقد سبق علم الله تعالى وحكمه بذلك . والدليل عليه الحديث الصحيح قال النبي ﷺ: { يقول الله تعالى يوم القيامة : يا آدم، ابعث بعث النار ، فيقول: يا رب: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة[٢].

روح المعاني (٧ /٣٧)

ولو أعجبك أي وإن سرك أيها الناظر بعين الاعتبار كثرة الخبيث.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنعام: ٣٥

في هذه الآية نهيُ للنبي عليه السلام أن يكون من الجاهلين، وقد حمله بعض المفسرين على أنه خطاب له عليه السلام لكن المراد به أمته.

قال مكي: « وقيل: معنى الخطاب لأمة محمد، والمعنى: فلا تكونوا من الجاهلين. ومثله في القرآن كثير »[٣].

ونقله القاضي ابن عطية عن مكي والمهدوي ثم قال: « وهذا ضعيف لا يقتضيه اللفظ»[٤].

---

(١) المحرر الوجيز (٣/٧٦).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٣/٣١٦)، وذكر مثله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦/٣٢٩-٣٣٠).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (٣/ ٢٠١١).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (٣/ ٢٠١١).

قال الثعالبي – ردّاً على ابن عطية -: « قلت وما قاله فيه عندي نظر؛ لأنّ هذا شأن التأويل إخراج اللفظ عن ظاهره لموجب »[١].

وهذا أبو حيان يسرد عددا من الأقوال ويضعفها لكونها تنافي عصمة الرسول، فقال[٢]:

« وضعف الاحتمال الأول بأنّه ﷺ مع كمال ذاته وتوفر معلوماته وعظيم اطّلاعه على ما يليق بقدرة الحقّ جلّ جلاله، واستيلائه على جميع مقدوراته، لا ينبغي أن يوصف بأنه جاهل بأنه تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى؛ لأنّ هذا من قبيل الدين والعقائد، فلا يجوز أن يكون جاهلاً بها.

وقيل: لا تجهل أنه يؤمن بك بعضهم ويكفر بعضهم، وضعف بأن هذا ليس مما يجهله ﷺ.

وقيل: لا تكوننّ ممن لا صبر له لأن قلة الصبر من أخلاق الجاهلين ، وضعف بأنه تعالى قد أمره بالصبر في آيات كثيرة ومع أمر الله له بالصبر وبيان أنه خير يبعد أن يوصف بعد صبره بقلة الصبر

القول الآخر:

ذهب ابن عطية إلى أن هذا الخطاب ليس مما أريد به غير النبي عليه السلام، فقال – بعد أن ضَعَّفَ قولَ مكي والمهدوي -: « والوجه القوي عندي في الآية هو أن ذلك لم يجيء بحسب النبيين وإنما جاء بحسب الأمرين اللذين وقع النهي عنهما والعتاب فيهما وبين أن الأمر الذي نهى عنه محمد ﷺ أكبر قدر وأخطر مواقعة من الأمر الذي واقعه نوح ﷺ »[٣].

وذهب إلى ذلك الزركشي في البرهان، ونقل قول ابن عطية هناك[٤].

وذكر أبو حيان أقوالاً عديدة منها[٥]:

(١) تفسير الثعالبي (٥١٧/١).
(٢) ينظر: البحر المحيط (١٢٠/٤).
(٣) المحرر الوجيز (٣٣٩/٢).
(٤) البرهان في علوم القرآن (٢ / ٢٤٤).
(٥) ينظر: البحر المحيط (١٢٠/٤).

- وقيل: لا يشتد حزنك لأجل كفرهم فتقارب حال الجاهل بأحكام الله وقدره ، وقد صرح بهذا في قوله : { فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ }، وقال قوم: جاز هذا الخطاب؛ لأنه لقربه من الله ومكانته عنده كان ذلك حملاً عليه كما يحمل العاقل على قريبه فوق ما يحمله على الأجانب، خشية عليه من تخصيص الإذلال.

- وقيل: الرسول معصوم من الجهل والشك بلا خلاف، ولكن العصمة لا تمنع الامتحان بالأمر والنهي ، أو لأن ضيق صدره وكثرة حزنه من الجبلات البشرية ، وهي لا ترفعها العصمة بدليل: (اللهم إني بشر وإني أغضب كما يغضب البشر) الحديث . وقوله : (إنما أنا بشر فإذا نسيت فذكروني) انتهى .

- والذي أختاره أن هذا الخطاب ليس للرسول، وذلك أنه تعالى قال: { وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى }، فهذا إخبار وعقد كلّي أنه لا يقع في الوجوه إلاّ ما شاء وقوعه، ولا يختص هذا الإخبار بهذا الخطاب بالرسول بل الرسول عالم بمضمون هذا الإخبار ، فإنما ذلك للسامع فالخطاب والنهي في { فَلاَ تَكُونَنَّ } للسَّامع دون الرسول فكأنه قيل : ولو شاء الله أيها السامع الذي لا يعلم أن ما وقع في الوجود بمشيئة الله جمعهم على الهدى لجمعهم عليه ، فلا تكونن أيها السامع من الجاهلين بأن ما شاء الله إيقاعه وقع ، وأن الكائنات معذوقة بإرادته .

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الأنعام: ٥٥

ذهب بعض المفسرين إلى أن قوله تعالى في هذه الآية {ولتستبين} خطاب له لكن المراد به أمته.

قال النحاس: « ولتستبين سبيل المجرمين المعنى على هذه القراءة ولتستبين يا محمد سبيل المجرمين قا قيل فقد كان صلى الله عليه و سلم يستبينها فالجواب عند الزجاج أن الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم خطاب لامته بالمعنى ولتستبينوا سبيل المجرمين[1].

(١) معاني القرآن للنحاس (٤٣٢/٢).

وذكر مثله: القرطبي، وأبو حيان[١].

الداعي:أن النبي كان استبانها.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأنعام: ٦٨

ذهب جمع من المفسرين أن هذه الآية مما خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته.

قال القرطبي: « قيل : هذا خطاب للنبي ﷺ والمراد أمته ؛ ذهبوا إلى تبرئته عليه السلام من النسيان[٢].

القول الآخر:

وقيل : هو خاص به ، والنسيان جائز عليه. قال ابن العربي : وإن عذرنا أصحابنا في قولهم إن قوله تعالى : {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} [الزمر : ٦٥] خطاب للأمة باسم النبي ﷺ لاستحالة الشرك عليه ، فلا عذر لهم في هذا لجواز النسيان عليه. قال عليه السلام ؛ "نسي آدم فنسيت ذريته" خرجه الترمذي وصححه. وقال مخبرا عن نفسه : "إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني". خرجه في الصحيح ، فأضاف النسيان إليه. وقال وقد سمع قراءة رجل : "لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها"[٣]

قال ابن عاشور: « ومن العلماء من تأوّل هذه الآية بأنَّها مما خوطب به النبي (ﷺ) والمراد أمَّته ، كقوله تعالى: { لئن أشركت ليحبطنّ عملك } (الزمر: ٦٥) »[٤].

تفسير المنار (٧/٤٢٣- ٤٢٤)

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٦/٤٣٧)، البحر المحيط (٤/١٤٥).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/١٤).
(٣) التحرير والتنوير (٧/٢٩١).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٧/١٤)، التحرير والتنوير (٧/٢٩١).

وقال صاحب المنار: « وهل الخطاب في هذه الآية للرسول والمراد غيره كما قيل في آيات كثيرة غيرها على حد المثل " إياك أعني واسمعي يا جارة " وهو كثير في كلام العرب ؟ أم للرسول بالذات ولغيره بالتبع كما هو الشأن في غير الأحكام الخاصة به - ﷺ - أم لكل من بلغه كما قيل آيات أخرى ؟ أقول : ظاهر ما نقلناه عن السدي ومقاتل اختيار الأول منها.

وقد استشكل إنساء الشيطان له - ﷺ - على القول بأن الخطاب في الآية له ، وقد ثبت في نص القرآن أن الشيطان ليس له سلطان على عباد الله المخلصين ، وخاتم النبيين والمرسلين - ﷺ - أخلصهم وأفضلهم وأكملهم ، بل ورد في سورة النحل : (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) (١٦ : ٩٩ : ١٠٠).

ولكن إنساء الشيطان بعض الأمور للإنسان ليس من قبيل التصرف والسلطان ، ... فثبت بهذا أن نسيان الشيء الحسن الذي يسند إلى الشيطان لكونه ضارا أو مفوتا لبعض المنافع ، أو لكونه حصل بوسوسته ولو بإشغالها القلب ببعض المباحات - لا يصح أن يعد من سلطان الشيطان على الناسي ، واستحواذه عليه بالإغواء والإضلال الذي نفاه الله عن عباده المخلصين؛ ولهذا قال بعض كبار مفسري السلف بأن الخطاب في الآية للنبي - ﷺ - مع العلم بأن الله تعالى فضله على سائر عباده المخلصين المعصومين بإعانته على شيطانه حتى أسلم، فلا يأمر إلا بالحق كما ورد في الحديث الصحيح، وقد ينسى الإنسان خيرا باشتغال فكره بخير آخر . قال مجاهد : نهي محمد - ﷺ - أن يقعد معهم إلا أن ينسى ، فإذا ذكر فليقم . إلخ .

وأما وقوع النسيان مع الأنبياء بغير وسوسة من الشيطان فلا وجه للخلاف في جوازه ، قال تعالى لخاتم رسله : (واذكر ربك إذا نسيت) (١٨ : ٢٤) بل ثبت في هذه السورة (الكهف) وقوعه من موسى عليه السلام (قال لا تؤاخذني بما نسيت) (١٨ : ٧٣) وإنما يقوم الدليل على عصمتهم من نسيان شيء مما أمرهم الله تعالى بتبليغه ، وهذا محل إجماع ، ومثله النسيان الذي يترتب عليه إخلال كإضاعة فريضة أو تحريم حلال ، أو تحليل حرام ، وقد جزم الأستاذ الإمام في تفسير (ما ننسخ من آية أو ننسها) (٢ : ١٠٦)

ببطلان ما ذكر السيوطي في أسباب النزول من رواية ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس : كان ربما نزل على النبي - ﷺ - الوحي بالليل ونسيه بالنهار ، فأنزل الله (ما ننسخ) الآية ؛ لأن ذلك مخالف للقاعدة القطعية المجمع عليها . وقد ورد في الصحيح إسناد النسيان إلى النبي - ﷺ - حديث ليلة القدر " فنسيت " وهو في صحيح مسلم ، وفي رواية " فأنسيتها " وثبت في الصحيحين والسنن سهو النبي - ﷺ - في الصلاة ، وقوله في بعض الروايات عندهم ما عدا الترمذي : " إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكروني " إلخ . وهو في باب التوجه نحو القبلة من البخاري عن ابن مسعود ، قال الحافظ في شرحه له من الفتح : وفيه دليل على وقوع السهو من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الأفعال . قال ابن دقيق العيد : وهو قول عامة العلماء والنظار ، وشذت طائفة فقالت : لا يجوز على النبي السهو ، وهذا الحديث يرد عليهم . اهـ .

وقال النووي في شرحه للحديث في صحيح مسلم ما نصه : " فيه دليل على جواز النسيان عليه - ﷺ - في أحكام الشرع ، وهو مذهب جمهور العلماء ، وهو ظاهر القرآن والحديث . واتفقوا على أنه - صلى الله عليه وسلم - لا يقر عليه ، بل يعلمه الله تعالى به ، ثم قال الأكثرون : شرطه تنبهه - ﷺ - على الفور متصلا بالحادثة ، ولا يقع فيه تأخير ، وجوزت طائفة تأخيره مدة حياته - ﷺ - واختاره إمام الحرمين ، ومنعت طائفة من العلماء السهو .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٠

روح المعاني - (٨ / ٥٣)

والخطاب قيل لكل من يصلح له وقيل : لسيد المخاطبين والمراد أمته

قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ﴾ الأعراف: ٢

اختلف المفسرون رحمهم الله في تفسير الحرج هنا، ففسره بعضهم بالشك، ووجهه بعض المفسرين، بأنّ الخطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته.

حكى ذلك القرطبي، والشوكاني، وغيرهما قولا في الآية دون القطع به، بل استبعده القرطبي(١).

قال الشوكاني: وقال مجاهد وقتادة : الحرج هنا الشك لأن الشاك ضيق الصدر : أي لا تشك في أنه منزل من عند الله وعلى هذا يكون النهي له صلى الله عليه و سلم من باب التعريض والمراد أمته : أي لا يشك أحد منهم في ذلك »(٢).

قولـه تعـالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠ ﴾ الأعراف: ٢٠٠

قال صاحب المنار: « والخطاب في هذه الآية وأمثالها من آيات التشريع والتأديب موجه إلى كل ما مكلف يبلغه وأولهم الرسول ﷺ ، ومن المفسرين من يقول : إنه هنا للنبي ﷺ والمراد أمته ... فالمختار عندي الآن عصمته ﷺ منه »(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥ ﴾ الأعراف: ٢٠٥

قال أبو حيان: « ولما أمره بالذكر أكد ذلك بالنهي عن أن يكون من الغافلين أي استلزم الذكر ولا تغفل طرفة عين ومعلوم أنه عليه السلام تستحيل عليه الغفلة لعصمته فهو نهي له ﷺ والمراد أمته »(٤).

قوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٦١/٧)، السراج المنير (٣٦٧/١).
(٢) فتح القدير الجامع (٢٧٣/٢).
(٣) تفسير المنار (٤٥٢/٩)، وذكر مثله المراغي في تفسيره (١٥١/٩).
(٤) البحر المحيط (٤٤٩/٤).

يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ يونس: ٩٤

قال الإمام القرطبي: « قوله تعالى: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ} الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره، أي لست في شك ولكن غيرك شك، قال أبو عمر محمد بن عبدالواحد الزاهد : سمعت الإمامين ثعلبا والمبرد يقولان : معنى {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ} أي قل يا محمد للكافر فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك {فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ} أي يا عابد الوثن إن كنت في شك من القرآن فأسأل من أسلم من اليهود ، يعني عبدالله بن سلام وأمثاله ؛ لأن عبدة الأوثان كانوا يقرون لليهود أنهم أعلم منهم من أجل أنهم أصحاب كتاب ؛ فدعاهم الرسول ﷺ إلى أن يسألوا من يقرون بأنهم أعلم منهم ، هل يبعث الله برسول من بعد موسى. وقال القتبي : هذا خطاب لمن كان لا يقطع بتكذيب محمد ولا بتصديقه ﷺ ، بل كان في شك »[(١)].

وقال السيوطي: « الثالث والعشرون خطاب العين والمراد به الغير نحو يأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين الخطاب له والمراد أمته لأنه كان تقيا وحاشاه من طاعة الكفار ومنه فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب . . الآية حاشاه من الشك وإنما المراد بالخطاب التعريض بالكفار[(٢)].

وقال الشنقيطي: التحقيق أن الخطاب في قوله: (فإن كنت في شك) خطاب للنبي - ﷺ - والمراد به من يمكن أن يشك في ذلك من أمته[(٣)].

وحكى هذا القول في الآية – وإن لم يقتصر عليه بعضهم - غيرُ واحد من المفسرين[(٤)].

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٨٢/٨ - ٣٨٣).
(٢) الإتقان في علوم القرآن (٩١/٢).
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ١٦٥).
(٤) ينظر: زاد المسير (٦٣/٤)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٦٧٨/١)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦١٢/٣)، تفسير أبي السعود (١٧٥/٤)، روح المعاني

وتوجيه الخطاب للنبي ﷺ مع استحالة وقوع الشك منه له فائدتان:

إحداهما: أنه ﷺ إذا سمع مثل هذا الخطاب تحركت منه الأرْيَحيَّة فيزداد في الثبات على اليقين نوراً على نور.

والثانية: أن السامع يتنبه بهذا الخطاب على أمر عظيم، فينزع وينزجر عما يورث الامتراء؛ لأنه ﷺ مع جلالته وعلو قدره خوطب بمثل هذا فكيف بغيره؟.

الأقوال الأخرى:

- أن الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم وهو المراد به ثم في المعنى قولان:

أحدهما: أنه خوطب بذلك وإن لم يكن في شك لأنه من المستفيض في لغة العرب أن يقول الرجل لولده إن كنت أبني فبرني ولعبده إن كنت عبدي فأطعني وهذا اختيار الفراء.

ويمكن أن يقال: الخطاب للرسول ﷺ حقيقة ولكن ورد على سبيل الفرض والتمثيل كأنه قيل : فإن وقع لك شك مثلاً والقضية الشرطية لا إشعار فيها ألبتة بوقوع الشرط ولا عدم وقوعه ، بل المراد استلزام الأول للثاني على تقدير وقوع الأول[1].

قال الألوسي: « لأنّ الشك لا يتصور منه عليه الصلاة و السلام لانكشاف الغطاء له ولذا عبر بان التي تستعمل غالبا فيما لا تحقق له حتى تستعمل في المستحيل عقلا وعادة كما في قوله سبحانه : قل إن كان للرحمن ولد وقوله تعالى : فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض وصدق الشرطية لا يتوقف على وقوعها كماهو ظاهر[2].

والثاني: أن تكون إن بمعنى ما فالمعنى ما كنت في شك فاسأل المعنى

(١٩٠/١١)، روح البيان (٤٥/٤)، التفسير المنير (٢٦٣/١١، ٢٦٤)، التفسير الواضح (٨٩/٢).

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦١٢/٣).

(٢) روح المعاني (١٨٩/١١-١٩٠).

لسنا نريد أن نأمرك أن تسأل لأنك شاك ولكن لتزداد بصيرة ذكره الزجاج.

قال الألوسي: « وزعم الزجاج أن أن نافية وقوله سبحانه : فاسأل جواب الشرط مقدر أي ما كنت في شك مما أنزلنا إليك فإن أردت أن تزداد يقينا فاسأل، وهو خلاف الظاهر وفيما ذكر غني عنه »(١).

- أن الخطاب للشاكين فالمعنى إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزل إليك على لسان محمد فسل روي عن ابن قتيبة(٢).

- وقيل : الشك ضيق الصدر ؛ أي إن ضاق صدرك بكفر هؤلاء فاصبر، واسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك يخبروك صبر الأنبياء من قبلك على أذى قومهم وكيف عاقبة أمرهم. والشك في اللغة أصله الضيق؛ يقال: شك الثوب أي ضمه بخلال حتى يصير كالوعاء. وكذلك السفرة تمد علائقها حتى تنقبض؛ فالشك يقبض الصدر ويضمه حتى يضيق.

- وقال الحسين بن الفضل : الفاء مع حروف الشرط لا توجب. الفعل ولا تثبته، والدليل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال لما نزلت هذه الآية: والله لا أشك(٣).

أنه تهييج الرسول صلى الله عليه و سلم وزيادة تثبيته لا إمكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة و السلام: [لا أشك ولا أسأل] (٤).

الأدلة على أنه عليه السلام غير مراد:

والذي يدل على صحة ذلك وجوه(٥):

الأوّل: قوله تعالى في آخر السورة : {يا أيها الناس} فبين أنّ ذلك المذكور في أوّل الآية على سبيل الرمز هم المذكورون في هذه الآية على سبيل التصريح.

---

(١) روح المعاني (١٩٠/١١).
(٢) ينظر: زاد المسير (٦٣/٤).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣٨٢/٨ - ٣٨٣).
(٤) تفسير البيضاوي (٢١٤/١)، تفسير أبي السعود (١٧٥/٤)، روح البيان (٤٥/٤).
(٥) السراج المنير (٣٢/٢).

الثاني: أنّه ﷺ لو كان شاكاً في نبوّة نفسه لكان شك غيره في نبوته أولى، وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية.

الثالث: إذا قدر أن يكون شاكاً في نبوّة نفسه ، فكيف يزول ذلك الشك بإخبار أهل الكتاب عن نبوّته مع أنهم في الأكثر كفار ؟

فثبت أنّ الخطاب وإن كان في الظاهر معه ﷺ إلا أنّ المراد هو الأمّة ، ومثل هذا معتاد فإنّ السلطان إذا كان له أمير وتحت راية ذلك الأمير جمع ، فإذا أراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص فإنه لا يوجه خطابه عليهم بل يوجه ذلك الخطاب على ذلك الأمير الذي جعله أميراً عليهم ليكون ذلك أشدّ تأثيراً في قلوبهم .

وقيل: الخطاب للنبيّ ﷺ على حقيقته ولكن الله تعالى علم أنه ﷺ لا يشك في ذلك إلا أن المقصود أنه متى سمع هذا الكلام فإنه يصرّح ويقول: يا رب لا أشك ولا أطلب الحجة من قول أهل الكتاب بل أكتفي بما أنزلته عليّ من الدلائل الظاهرة، ولهذا قال ﷺ "لا أشك ولا أسأل أحداً منهم"، ونظير هذا قوله للملائكة: {أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون} (سبأ ، ٤٠) والمقصود أن يصرّحوا بالجواب الحق ويقولوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ، وكما قال تعالى لعيسى عليه السلام: {أأنت قلت للناس اتخذوني وأمّي إلهين} (المائدة ، ١١٦) والمقصود منه أن يصرّح عيسى عليه السلام بالبراءة من ذلك فكذلك هنا.

قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ هود: ١١٢
قال السدّي: الخطاب له ﷺ والمراد أُمته[١].

القول الآخر:

قوله تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} الخطاب للنبي ﷺ ولغيره[٢].

(١) الكشف والبيان (١٩٢/٥)، الجامع لأحكام القرآن (١٠٧/٩).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠٧/٩).

قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ إبراهيم: ٤٢

قال النيسابوري: « إن كان الخطاب لكل مكلف أو للنبي والمراد أمته فلا إشكال، وإن كان للنبي (ﷺ) فمعناه التثبت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله إلا عالماً بجميع المعلومات، أو المراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يقولون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير »[1].

وقال المراغي: « (وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) تقدم أن مثل هذا الخطاب من وادي قولهم : (إياك أعنى واسمعي يا جاره) فهو فى صورته للنبى صلى الله عليه وسلّم والمراد أمته »[2]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ﴾ إبراهيم: ١٩

قال البيضاوي: { ألم تر } خطاب للنبي صلى الله عليه و سلم والمراد به أمته(٣).

وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين[4].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الإسراء: ٢٩

قال ابن العربي: « هذا خطاب للنبي ﷺ والمراد أمته، وكثيرا ما جاء في القرآن، فإن النبي ﷺ لما كان سيدهم وواسطتهم إلى ربهم عبر به عنهم، على عادة العرب في ذلك، فإنه ﷺ كان قد خيره الله في الغنى والفقر، فاختار

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٠١/٤).
(٢) تفسير المراغي (١٦٥/١٣).
(٣) تفسير البيضاوي (٣٤٢/١)، السراج المنير (١٣٩/٢)، تفسير أبي السعود (٤٠/٥)، روح المعاني (٢٠٤/١٣)، التفسير المنير (٢٣١/١٣).
(٤) تفسير البيضاوي (٣٤٢/١)، السراج المنير (١٣٩/٢)، تفسير أبي السعود (٤٠/٥)، روح المعاني (٢٠٤/١٣).

الفقر، يجوع يوما، ويشبع يوما، ويشد على بطنه من الجوع حجرين، وكان على ذلك صبارا، وكان يأخذ لعياله قوت سنتهم حين أفاء الله عليه النضير وفدك وخيبر، ثم يصرف ما بقي في الحاجات، حتى يأتي أثناء الحول وليس عنده شيء، فلم يدخل في هذا الخطاب بإجماع من الأمة، لما هو عليه من الخلال والجلال، وشرف المنزلة، وقوة النفس على الوظائف، وعظيم العزم على المقاصد، فأما سائر الناس فالخطاب عليهم وارد، والأمر والنهي كما تقدم إليهم متوجه، إلا أفرادا خرجوا من ذلك بكمال صفاتهم، وعظيم أنفسهم، منهم { أبو بكر الصديق، خرج عن جميع ماله للنبي ﷺ فقبله منه لله سبحانه}؛ وأشار علي أبي لبابة وكعب بالثلث من جميع مالهم ؛ لنقصهم عن هذه المرتبة في أحوالهم؛ وأعيان من الصحابة، كانوا على هذا، فأجراهم النبي ﷺ وائتمروا بأمر الله، واصطبروا على بلائه، ولم تتعلق قلوبهم بدنيا، ولا ارتبطت أبدانهم بمال منها؛ وذلك لثقتهم بموعود الله في الرزق، وعزوب أنفسهم عن التعلق بغضارة الدنيا. وقد كان في أشياخي من ارتقى إلى هذه المنزلة فما ادخر قط شيئا لغد، ولا نظر بمؤخر عينه إلى أحد، ولا ربط على الدنيا بيد، وقد تحقق أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وهو بعباده خبير بصير »[١].

وذكر مثل هذا القرطبي والثعالبي والشوكاني[٢].

الجامع لأحكام القرآن (٢٥٠/١٠)

وقيل: إن هذا الخطاب للنبي (ﷺ) في خاصة نفسه علمه فيه كيفية الإنفاق وأمره بالاقتصاد[٣].

أو الخطاب لكل من يصلح له من المكلفين[٤].

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢٧٥/٥- ٢٧٦).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٥٠/١٠)، تفسير الثعالبي (٣٣٩/٢ -٣٤٠)، فتح القدير (٣١٨/٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٥٠/١٠).

(٤) فتح القدير (٣١٨/٣).

إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ الإسراء: ٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الإسراء: ٢٢

ذهب كثير من المفسرين إلى أن هذه الآيات الناهية للرسول ﷺ عن دعوة غير الله، وجعل إله آخر معه، من الخطابات الموجهة إليه والمراد به أمته.

قال الطبري : قال الطبري: وهذا الكلام وإن كان خرج على وجه خطاب الله للنبي ﷺ، فهو معني به جميع من لزمه التكليف من عباد الله جل وعز[١].

وقال السمرقندي: " ولا تجعل " أي لا تقل " مع الله إلها آخر " فالخطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته "[٢].

وقال الشنقيطي: « قوله تعالى: لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا }، الظاهر أن الخطاب في هذه الآية الكريمة متوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ليشرع لأمته على لسانه إخلاص التوحيد في العبادة له جل وعلا، لأنه ﷺ معلوم أنه لا يجعل مع الله إلها آخر، وأنه لا يقعد مذموما مخذولا »[٣].

وذكره جمع غفير من أهل التفسير، وإن لم يقتصر أكثرهم عليه وحكوا معه القول الثاني[٤].

---

(١) جامع البيان (١٤/ ٥٤١).

(٢) بحر العلوم (٢/ ٣١٢).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٨٣).

(٤) ينظر: والوسيط للواحدي ١٠٢/٣، والمحرر الوجيز لابن عطية ٤٤٧/٣، زاد المسير (٢١/٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢٣٦/١٠)، تفسير النسفي (٢٥٨/٢)، تفسير البيضاوي (٤٣٨/١)، تفسير أبي السعود (١٦٥/٥)، تفسير الثعالبي (١٥٣/٣)، روح البيان (١١١/٥)، روح المعاني (٥٢/١٥)، فتح القدير (٣١٢/٣)، تفسير المراغي (٤٨/١٥) والتحرير والتنوير (٦٤/١٥)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (١٨٥/٣).

الأدلة على ذلك:

ذكرها الشنقيطي بقوله: « ومن الآيات الدالة دلالة واضحة على أنه ﷺ يوجه إليه الخطاب، والمراد بذلك التشريع لأمته لا نفس خطابه هو ﷺ، قوله تعالى: { إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما}؛ لأن معنى قوله: {إما يبلغن الآية}، أي إن يبلغ عندك والداك أو أحدهما الكبر فلا تقل لهما أف، ومعلوم أن والديه قد ماتا قبل ذلك بزمن طويل، فلا وجه لاشتراط بلوغهما أو أحدهما الكبر بعد أن ماتا منذ زمن طويل، إلا أن المراد التشريع لغيره ﷺ، ومن أساليب اللغة العربية خطابهم إنسانا والمراد بالخطاب غيره »[(١)].

فائدة توجيه الخطاب إليه مع أن المراد أمته:

الإشعار بأن التكاليف التي خوطب بها النبي والمراد أمته لا يقوم بها حق القيام إلا هو أو من يقتدي بأنواره ويقتفي لآثاره ويسعى في اتباع سننه القويم ويجتهد في التخلق بخلقه الكريم بخلاف غيرها مما خوطبوا به صريحا فإنها لا تأتي من أغلبهم[(٢)].

وخوطب بالنهي عن الشرك لأنه ليس للطبع والخلق في التوحيد والشرك دخل[(٣)].

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ يونس: ١٠٦

قال النيسابوري: « فلا تدع (والمراد أمته كما مر في نظائره من قوله (ولئن اتبعت أهواءهم) [البقرة : ١٢٠] وغير ذلك[(٤)].

وقال ابن عجيبة: « {ولا تَدْعُ مع الله إلهاً آخر} ، قال ابن عباس رضي

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٨٣).
(٢) روح المعاني (٧٨/١٥).
(٣) روح المعاني (٧٨/١٥).
(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٨٧/٥).

الله عنه : الخطاب للنبي ﷺ ، والمراد به أَهْلُ دينه »[١].

ومثله قوله تعالى: قال أبو حيان: « وقيل: الخطاب له لفظاً والمراد أمته وهذا هو الظاهر لقوله: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ } والعصمة تنافي إمكان الشرك »[٢].

وقال الخطيب الشربيني: « {ولا تكونن من المشركين} أي : ممن يشرك بالله في عبادته غيره فتهلك ، خطاباً للنبيّ ﷺ والمراد أمّته ، أي : ولا تكونن أيها الإنسان وكذا قوله تعالى: {ولا تدع} أي : تعبد {من دون الله} أي : غيره {ما لا ينفعك} أي : إن عبدته {ولا يضرّك} إن لم تعبده {فإن فعلت} ذلك {فإنك إذاً من الظالمين} لنفسك »[٣].

القول الآخر:

حكى كثير من المفسرين مع القول الأول قولاً آخر، وهو: أن الخطاب لكل لأحد ممن يصلح للخطاب[٤].

قال الشنقيطي: « وذهب بعض أهل العلم إلى أن الخطاب في قوله: لا تجعل مع الله إلها آخر، ونحو ذلك من الآيات متوجه إلى المكلف، ومن أساليب اللغة العربية: إفراد الخطاب مع قصد التعميم ؛ كقول طرفة بن العبد في معلقته:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود[٥].

(١) البحر المديد (٥ / ٤٤٨).
(٢) البحر المحيط (٩١/٤).
(٣) السراج المنير (٣٤/٢).
(٤) ينظر: التفسير الكبير (١٤٦/٢٠)، والتسهيل لابن جزي ٤٨٥/١، والبحر المحيط لأبي حيان ٣٠/٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٥/٣ ، البحر المديد (١١٧/٤)، تفسير أبي السعود (١٦٥/٥)، روح المعاني (٥٢/١٥)، روح البيان (١١١/٥)، فتح القدير (٣١٢/٣)، .
(٥) أضواء البيان (٣/ ٨٤).

- أنه على إضمار القول والتقدير: قل لك مكلف لا تجعل[1].

قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الإسراء: ٢٣

قال القرطبي: « الخطاب في هذه الآية للنبي (ﷺ) والمراد به أمته إذ لم يكن له عليه السلام في ذلك الوقت أبوان »[2].

وقال الشنقيطي: « من أصرح الآيات القرآنية في ذلك قوله تعالى: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} [الإسراء:٢٣]، فالتحقيق أن الخطاب له ﷺ والمراد أمته لا هو نفسه، لأنه هو المشرع لهم بأمر الله.

وإيضاح ذلك أو معنى: {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ} أي إن يبلغ عندك الكبر يا نبي الله والداك أو أحدهما فلا تقل لهما أف.

ومعلوم أن أباه مات وهو حمل، وأمه ماتت وهو في صباه فلا يمكن أن يكون المراد: إن يبلغ الكبر عندك هما أو أحدهما والواقع أنهما قد ماتا قبل ذلك بأزمان.

وبذلك يتحقق أن المراد بالخطاب غيره من أمته الذي يمكن إدراك والديه أو أحدهما الكبر عنده، وقد قدمنا أن مثل هذا أسلوب عربي معروف[3].

قوله تعالى:﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ طه: ٧
حكاه أبو حيان قولا، ونقله عنه الآلوسي[4].

القول الآخر:

(١) فتح القدير (٣١٢/٣).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٤/١٠).
(٣) أضواء البيان (٧/ ١٦٥).
(٤) ينظر: البحر المحيط (٢١٤/٦)، روح المعاني (١٦٢/١٦).

حكى أبو حيان قولا آخر أن الخطاب بقوله: { وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ } للرسول، واستظهره[1].

وقال الآلوسي: وجوز أن يكون عاما وإن ترفع صوتك أيها الانسان بالقول فإنه يعلم السر أي ما اسررته إلى غيرك ولم ترفع صوتك به وأخفى[2].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ طه: ١٣١

وقيل: الخطاب له عليه الصلاة و السلام والمراد أمته؛ لأنّه صلى الله عليه وسلّم كان أبعد شيء عن إطالة النظر إلى زينة الدنيا وزخارفها وأعلق بما عند الله عز وجل من كل أحد وهو عليه الصلاة والسلام القائل الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما أريد به وجه الله تعالى وكان ﷺ شديد النهي عن الأغترار بالدنيا والنظر إلى زخرفها »[3].

قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ الروم: ٦٠

قال القرطبي: « {وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ} أي لا يستفزنك عن دينك {الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ} قيل : هو النضر بن الحارث. والخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته»[4].

وقال الزحيلي: « والخطاب في قوله : وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ للنبي صلّى الله عليه وسلّم ، والمراد أمته. فإن قصر الخطاب على النبي صلّى الله عليه وسلّم فالمراد به وجوب المداومة على الدعوة إلى الإيمان ، فإنه لو سكت لقال الكافر: إنه متقلب الرأي، لا ثبات له على مبدئه »[5].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ

(١) البحر المحيط (٢١٤/٦).
(٢) روح المعاني (١٦٢/١٦).
(٣) روح المعاني (٢٨٣/١٦).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٤٩/١٤).
(٥) التفسير المنير (١٢٣/٢١).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ ﴾ الأحزاب: ١

حكى بعض المفسرين قولا في هذه الآية أنّ الخطاب مع الرسول والمراد أمته(١).

القول الآخر(٢):

أحدها: أنّ المعنى: دم على التقوى ، كالرجل يقول لغيره وهو قائم قم ها هنا أي : اثبت قائما.

وقيل: المعنى: استكثر من أسباب التقوى، أو أكثر من تقواه في جهاد عدوه.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ ﴾ الزمر: ٢

قال السمرقندي: { بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين }: يعني استقم على التوحيد وعلى عبادة الله تعالى مخلصا وإنما خاطبه والمراد به قومه، يعني: وحدوا الله تعالى ولا تقولوا مع الله شريكا(٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥ ﴾ الزمر: ٦٥

قال ابن العربي: « واستظهر عليه علماؤنا بقول الله تعالى: {لئن أشركت ليحبطن عملك} وقالوا هو خطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته لأنه ﷺ يستحيل منه الردة شرعا »(٤).

---

(١) ينظر: تفسير السمعاني (٢٥٦/٤)، زاد المسير (٣٤٨/٦)، تفسير العز بن عبد السلام (٨٨٩/١).

(٢) ينظر: تفسير السمعاني (٢٥٦/٤)، زاد المسير (٣٤٨/٦)، تفسير العز بن عبد السلام (٨٨٩/١).

(٣) بحر العلوم (١٦٨/٣).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (٢٨٤/١).

وذكر مثله القرطبي[1].

الأقوال الأخرى: أحكام القرآن لابن العربي (٢٨٥/١)

وقال أصحاب الشافعي: بل هو خطاب للنبي ﷺ على طريق التغليظ على الأمة، وبيان أنّ النبي ﷺ على شرف منزلته لو أشرك لحبط عمله ، فكيف أنتم ؟ لكنه لا يشرك لفضل مرتبته، كما قال الله تعالى: { يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين } ؛ وذلك لشرف منزلته، وإلا فلا يتصور إتيان فاحشة منهن، صيانة لصاحبهن المكرم المعظم .

وقال علماؤنا: إنما ذكر الموافاة شرطا هاهنا، لأنه علق عليها الخلود في النار جزاء، فمن وافى كافرا خلده الله في النار بهذه الآية، ومن أشرك حبط عمله بالآية الأخرى، فهما آيتان مفيدتان لمعنيين مختلفين وحكمين متغايرين، وما خوطب به النبي ﷺ فهو لأمته حتى يثبت اختصاصه به، وما ورد في أزواجه ﷺ فإنما قيل ذلك فيهن ليبين أنه لو تصور لكان هتكا لحرمة الدين وحرمة النبي ﷺ ولكل هتك حرمة عقاب، وينزل ذلك منزلة من عصى في شهر حرام، أو في البلد الحرام، أو في المسجد الحرام، فإن العذاب يضاعف عليه بعدد ما هتك من الحرمات، والله الواقي لا رب غيره.

قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الزخرف: ٤٥

قال القرطبي: والخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته[2].

قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ محمد: ١٩

قال السمرقندي: « والنبي ﷺ قد علم أن الله تعالى واحد وإنما خاطبه والمراد به أمته »[3].

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٨/٣)، (٢٧٦/١٥).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٩٦/١٦).
(٣) بحر العلوم (٢٨٦/٣).

وقال ابن عطية : وقوله تعالى: " واستغفر لذنبك " يحتمل أن يكون ذلك قبل إعلام الله إياه إنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لأن آية هذه السورة مكية وآية سورة الفتح مدنية متأخرة ويحتمل أن يكون الخطاب في هذه الآية له والمراد أمته أي أنه إذا أمر هو بهذا فغيره أحرى بامتثاله »[(١)].

وقال القرطبي: وقد قيل : إنه خطاب للنبي ﷺ والمراد أمته [(٢)].

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ ﴾ القلم: ٨.

قال البقاعي: وهو خطاب له (ﷺ) والمراد أمته ليكون ذلك أبلغ في سماعهم : (فلا تطع) أي أيها المأمور بإنقاذهم من غوائل أهوائهم وأشراك أهلاكهم[(٣)].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) المحرر الوجيز (٦٣١/٤)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/١٨).

(٣)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨ / ١٠٠).

فهرس المراجع والمصادر

(١) الإحكام في أصول الأحكام ، علي بن محمد التغلبي الآمدي سيف الدين أبو الحسن تحقيق : عبد الرزاق عفيفي ط المكتب الإسلامي ، بدون تاريخ .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي طمجمع الفقه الإسلامي بجدة .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ط أولى سنة ١٤١٨هـ .

(٤) البحر المحيط في أصول الفقه محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي بدر الدين تحقيق : عبد القادر عبد الله العاني ط وزارة الأوقاف للشئون الإسلامية ، ط٢ سنة ١٩٩٢م

(٥) اللباب في علوم الكتاب عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي أبو حفص تحقيق عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض ط دار الكتب العلمية سنة ٢٠١٣م .

(٦) البرهان في علوم القرآن الزركشي تحقيق أبي الفضل الدمياطي ط دار الحديث ٢٠٠٦م.

(٧) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ط الدار التونسية للنشر سنة ٢٠٠٨م .

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي أبو القاسم ، تحقيق محمد سالم هاشم ط دار الكتب العلمية سنة ١٩٩٥م .

(٩) تفسير العز بن عبد السلام ط سنة ١٩٩٦م .

(١٠) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ط مكتبة المنار ، سنة ١٩٤٧هـ.

(١١) التفسير المنيرفي العقيدة والشريعة والمنهج د/ وهبة الزحيلي ، ط دار الفكرالمعاصر – دمشق سنة ١٤١٨هـ .

(١٢) تفسير النسفي تحقيق سيد زكريا ط نزار مصطفى الباز سنة

١٤٢٦ هـ .

(١٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ط مؤسسة الرسالة سنة ٢٠٠٦م .

(١٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن تفسير الثعالبي تحقيق علي معوض - عادل عبد الموجود ط دار إحياء التراث العربي سنة ١٩٩٧م .

(١٥) دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب لمحمد الأمين الشنقيطي ، ط دار عالم الفوائد ط١ سنة ١٤٢٦هـ .

(١٦) الكشاف للزمخشري ط دار الكتاب العربي – بيروت ط ٣ سنة ١٤٠٧هـ .

(١٧) لباب التأويل في معاني التنزيل - تفسير الخازن تأليف عبد السلام محمد علي شاهين ط دار الكتب العلمية سنة ٢٠٠٤م .

(١٨) اللمع في أصول الفقه للشيرازي إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزاباذي الشيرازي أبو إسحاق تحقيقعبد القادر الخطيب الحسني ، ط نظام يعقوب – البحرين سنة ٢٠١٢م .

(١٩) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الجزء الثالث سنة ٢٠١٩م .

(١٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - تفسير ابن عطية- تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ط دار الكتب العلمية سنة ٢٠٠١م .

(٢٠) مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود ،عبد الله إبراهيم العلوي الشنقيطي ط دار ابن حزم سنة ٢٠٠٨ .

(٢١) معالم التنزيل- تفسير البغوي – تحقيق : محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ط دار طيبة سنة ١٩٨٩م .

(٢٢) معاني القرآن للنحاس تحقيق محمد علي الصابوني ، ط جامعة أم القرى ط ١ سنة ١٤٠٩هـ .

(٢٣) مفاتيح الغيب التفسير الكبير للفخر الرازي ط دار الفكر سنة

٢٠٠٨م .

(١٠) النكت والعيون أبو الحسن الماوردي تحقيقالسيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ط دار الكتب العلمية سنة ٢٠١٠م

(٢٤) الهداية إلى بلوغ النهاية تأليف : مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد تحقيق : مجموعة من المحققين ط امعة الشارقة - كلية الدراسات العليا والبحث العلمي سنة ٢٠٠٩م .